الشعر الأشعريين بين الحماسة والمدح والإصلاح

Poetry of the Ash'ari Tribe in the Early Islamic Period: Between Heroism (Hamasah), Praise (Madḥ), and Reform (Iṣlāḥ)

Hameeda Aslam
MPhil Scholar, Dept. of Arabic GCWUF
Dr Saeeda Bano
Assistant Professor, Dept. of Arabic GCWUF

Abstract: This study examines the poetic tradition of the Ash'ari tribe in the early Islamic period, focusing on three central thematic dimensions: heroism (ḥamāsah), praise (madḥ), and social reform (iṣlāḥ). It aims to analyze how Ash'ari poetry reflects a broader intellectual, religious, and cultural transformation from the pre-Islamic tribal worldview to the Islamic ideological and ethical framework.

Before Islam, Arabic poetry was primarily rooted in tribal pride, warfare, and individual glory. However, with the advent of Islam, the Ash'ari poets many of whom were among the early companions and supporters of the Prophet Muhammad ﷺ underwent a profound shift in perspective. Their poetic expression gradually moved away from tribal nationalism toward a universal Islamic vision based on faith, unity, and moral accountability.

The study finds that the theme of heroism (ḥamāsah) in Ash'ari poetry was redefined in Islamic terms. It was no longer associated with tribal warfare or personal revenge, but rather with jihad in the path of God, emphasizing patience, sacrifice, and spiritual commitment. Similarly, the genre of praise (madḥ) shifted from glorifying tribal leaders to honoring the Prophet ﷺ, the rightly guided caliphs, and universal moral virtues such as justice, truthfulness, and piety.

Moreover, the reformist dimension (iṣlāḥ) highlights the social and ethical function of Ash'ari poetry, where poetry served as a means of moral guidance, social correction, and communal unity. It contributed to discouraging corruption, strengthening ethical conduct, and promoting Islamic values within society.The study concludes that Ash'ari poetry represents a significant example of literary transformation in early Islamic civilization. It demonstrates how Arabic poetry evolved from a tribal artistic expression into a value-oriented discourse that combined aesthetic form with religious and moral purpose.

Keywords:
Ash'ari Tribe; Early Islamic Poetry; Hamasah; Madḥ; Iṣlāḥ; Arabic Literature; Tribal to Islamic Transition; Prophetic Era Poetry; Social Reform in Literature; Islamic Values in Poetry.

التمهيد:

يمثل الشعر عند الأشعريين في العصر الإسلامي امتداداً طبيعياً لتراثهم الجاهلي، إلا أنه اكتسب مضموناً جديداً يتناسب مع تعاليم الإسلام، فتحولت اتجاهاته الفنية والموضوعية من إطار القبيلة إلى إطار الأمة، ومن العصبية إلى العقيدة، ومن الفخر الذاتي إلى الرسالة الإيمانية الهادفة.

فالشعر عند العرب لم يكن مجرد فن جمالي، بل كان ديوان حياتهم ولسان حالهم، يعبر عن قيمهم ومواقفهم وتاريخهم. ومن هنا فإن دراسة الشعر عند قبيلة الأشعريين تكشف عن نموذج واضح للتفاعل بين التراث الجاهلي والتحول الإسلامي، حيث حافظ الشعر على بنيته الفنية من وزن وقافية وصور بلاغية، لكنه في الوقت نفسه تجدد في مضمونه ووظيفته ورسائله، فأصبح أداة من أدوات الدعوة والإصلاح والتوجيه الاجتماعي.

وقد كان الأشعريون من أوائل القبائل التي دخلت الإسلام وأسهمت في نصرة الدعوة، مما جعلهم يعيشون تجربة التحول الفكري والروحي بشكل مباشر وعميق. وهذا التحول انعكس على إنتاجهم الشعري، إذ لم يعد الشعر عندهم مجرد وسيلة للتفاخر القبلي أو تمجيد الحروب الجاهلية، بل أصبح وسيلة للتعبير عن الإيمان، والدفاع عن الدين، ونصرة الحق، وبناء المجتمع الإسلامي على أسس أخلاقية وروحية جديدة.

ومن أبرز مظاهر هذا التحول أن الشعر الأشعري في العصر الإسلامي انتقل من موضوعات الجاهلية القائمة على العصبية والفخر والهجاء، إلى موضوعات جديدة تدور حول الحماسة في سبيل الله، والمدح النبوي، والإصلاح الاجتماعي، والدعوة إلى الفضيلة. ومن هنا جاء عنوان هذا الفصل ليعكس هذه التحولات الثلاثة الكبرى :**الحماسة، والمدح، والإصلاح** بوصفها المحاور الأساسية التي تشكل مضمون الشعر الأشعري في العصر الإسلامي.

كما أن هذا الشعر اكتسب وظيفة حضارية جديدة، إذ لم يعد يقتصر على التعبير الفني، بل أصبح وسيلة من وسائل بناء الوعي الإسلامي، وتثبيت القيم الدينية، وتحفيز المجتمع على الالتزام بأحكام الشريعة، وتعزيز روح الأخوة الإيمانية بدلاً من العصبية القبلية. وقد ساهم في ذلك عدد من أعلام الأشعريين من الصحابة والتابعين الذين جمعوا بين العلم والدعوة والبيان، مثل **أبو موسى الأشعري** و زياد بن لبيد الأشعري الذين عكسوا في مواقفهم العامة روح الاعتدال والحكمة التي تنسجم مع طبيعة الشعر الإسلامي الجديد.ومن الناحية الفنية، حافظ الشعر الأشعري على أدواته التقليدية من حيث الوزن والقافية والبنية اللغوية، لكنه تطور من حيث الدلالة والمضمون، فأصبح أكثر وضوحاً وعمقاً وأقرب إلى الصدق في التعبير، بعيداً عن المبالغة والتكلف. وهذا يعكس طبيعة المرحلة الإسلامية التي قامت على الوضوح في الرسالة، والبساطة في الأسلوب، والسمو في الهدف. إن دراسة الشعر الأشعري في هذا الفصل لا تنفصل عن السياق العام لتطور

الشعر العربي في صدر الإسلام، بل تمثل جزءاً من حركة أدبية كبرى أعادت تشكيل الذوق الأدبي العربي، وجمعت بين الأصالة الفنية والتجديد الفكري، وبين التراث القديم والقيم الإسلامية الجديدة[1].

ومن هنا تأتي أهمية هذا الفصل الذي يتناول الشعر الأشعري من خلال محاوره الأساسية :**الحماسة، والمدح، والإصلاح**، بوصفها تجليات فنية وفكرية تعكس الدور الحضاري للأشعريين في تطوير الشعر العربي في مرحلة التحول الإسلامي.

الحماسة في الشعر الأشعري:

تُعد الحماسة في الشعر الإسلامي عند الأشعريين أحد أهم التحولات الموضوعية التي أصابت الشعر العربي في صدر الإسلام، إذ انتقل هذا اللون الشعري من حماسةٍ تقوم على العصبية القبلية، وتمجيد الغزو لأجل الغزو، إلى حماسةٍ ذات مضمون إيماني يرتبط بالجهاد في سبيل الله، والدفاع عن العقيدة، ونصرة الرسالة الإسلامية. وقد انعكس هذا التحول بوضوح في إنتاج الشعراء من قبيلة الأشعريين، الذين عايشوا لحظة الانتقال الكبرى من الجاهلية إلى الإسلام، فصاغوا تجاربهم بلغة جديدة تحمل روح الإيمان بدل روح العصبية، وتعبّر عن الأمة بدل القبيلة.

لقد أصبح الجهاد في سبيل الله هو المحور الأساسي الذي تدور حوله الحماسة الشعرية، فلم تعد الحرب غاية في ذاتها، بل وسيلة لإعلاء كلمة الله، ونشر العدل، وإزالة الظلم. ومن هنا اكتسبت الحماسة عند الأشعريين طابعاً روحياً سامياً، يربط بين القوة العسكرية والقيمة الإيمانية، وبين الشجاعة في الميدان والإخلاص في العقيدة[2].

وقد كان من أبرز أعلام الأشعريين الذين أسهموا في تشكيل هذا اللون الشعري عدد من الصحابة الذين جمعوا بين الفصاحة والإيمان، مثل **أبو موسى الأشعري** الذي كان مثالاً للحكمة والاتزان، و**زياد بن لبيد الأشعري** الذي عُرف بخطبه ومواقفه في الدفاع عن الإسلام، إضافة إلى عدد من المجاهدين الذين عبّروا عن مواقفهم في شكل أبيات شعرية أو رجز حماسي في ميادين القتال.[3]

سمات الحماسة في الشعر الأشعري الإسلامي:

أولاً: الروح الإيمانية العالية

---

[1] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، القاهرة: دار المعارف، 1980م، ص 112.

[2] طه حسين، في الأدب الجاهلي، القاهرة: دار المعارف، 1926م، ص 54.

[3] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، بيروت: دار الثقافة، 1971م، ص 120.

تتميز الحماسة عند الأشعريين بأنها ليست مجرد إثارة للعاطفة القتالية، بل هي حماسة مشبعة بالإيمان بالله واليوم الآخر. فالمقاتل لا يقاتل طلباً للغنيمة أو الشهرة، وإنما يقاتل ابتغاء مرضاة الله. وهذا البعد الإيماني جعل الشعر الحماسي يرتقي من مستوى التعبير القبلي إلى مستوى الرسالة الدينية.

وقد كان هذا التحول واضحاً في الخطاب العام للصحابة، حيث كانت الكلمات تُربط دائماً بالآخرة والثواب، مما يجعل الشعر الحماسي امتداداً للخطاب الديني الذي يدعو إلى الصبر والثبات واليقين[1].

ثانياً: تصوير المعارك والجهاد

من سمات الحماسة عند الأشعريين تصوير مشاهد المعارك بأسلوب حيّ ومؤثر، حيث يتم إبراز شجاعة المجاهدين وثباتهم في مواجهة الأعداء. غير أن هذا التصوير لم يكن مبالغاً فيه كما في الجاهلية، بل كان واقعياً وموجهاً، يهدف إلى تثبيت القلوب ورفع المعنويات.

فالمعركة في الشعر الإسلامي ليست مجالاً للفخر القبلي، بل ميداناً لإظهار صدق الإيمان، وقوة العقيدة، وثبات المؤمنين في وجه التحديات.

ثالثاً: التضحية والثبات

من أهم السمات أيضاً إبراز قيمة التضحية في سبيل الله، حيث يتحول الإنسان في الشعر الحماسي إلى رمز للفداء والصبر. وقد عبّر الأشعريون عن هذا المعنى في مواقف متعددة، حيث كانت الروح العامة للشعر تدعو إلى الثبات وعدم الفرار، واليقين بأن النصر من عند الله[2].

وظائف الحماسة في الشعر الأشعري

أولاً: رفع المعنويات

كان الشعر الحماسي وسيلة مهمة لرفع معنويات المجاهدين في ميادين القتال، حيث كان يُلقى أو يُتداول بينهم قبل المعارك أو أثناءها. وقد ساعد هذا الشعر على بث روح الثقة والطمأنينة في النفوس، وربط القلوب بالله تعالى[3].

ثانياً: تحفيز المجاهدين

كما استخدم الشعر الحماسي لتحفيز الناس على المشاركة في الجهاد، والتضحية بالنفس والمال في سبيل الله. وكان الخطاب الشعري يعمل على إثارة الحماسة الإيمانية، وليس العصبية القبلية، مما جعله أداة دعوية بامتياز.

---

[1] عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، بيروت: دار العلم للملايين، 1981م، ص 143.

[2] زكي مبارك، المدائح النبوية، القاهرة: مكتبة النهضة، 1953م، ص 88.

[3] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، بيروت: دار الكتاب العربي، 1974م، ص 210.

ثالثاً: توثيق الأحداث

من الوظائف المهمة أيضاً أن الشعر الحماسي كان وسيلة لتوثيق بعض الأحداث التاريخية، حيث سجل مواقف البطولة في المعارك الإسلامية الأولى، مما جعله مصدراً تاريخياً وأدبياً في آن واحد[1].

نماذج من الروح الحماسية عند الأشعريين

ورغم أن معظم الشعر المنسوب إلى الصحابة لم يصلنا في دواوين مستقلة، إلا أن الروايات الأدبية والتاريخية تشير إلى وجود أبيات ذات طابع حماسي تعكس روح المرحلة. ومن المعاني المتداولة في هذا السياق ما يُنسب إلى بعض المجاهدين من الأشعريين من قولهم في معنى عام:

"نقاتلُ في سبيلِ اللهِ حقاً
ونبذلُ في الرضا الروحَ الثمينةْ
فإنْ نُقتلْ فنحنُ إلى جنانٍ
وإنْ نَحيا فنحيا في يقينَهْ[2]"

كما يُنقل عن روح الخطاب الأشعري في ميادين الجهاد ما يدل على هذا المعنى العام، حيث كان التركيز على الثبات وعدم الخوف من الموت، لأن الهدف هو نصرة الدين وليس تحقيق مكاسب دنيوية.

البعد البلاغي في الحماسة الأشعرية:

من الناحية البلاغية، تتسم الحماسة عند الأشعريين بعدة خصائص، أهمها قوة الإيقاع، وبساطة اللغة، ووضوح الصورة. فالشاعر أو الخطيب كان يعتمد على الجملة القصيرة المؤثرة، التي تخاطب الوجدان مباشرة دون تعقيد لغوي.

كما أن الصور البلاغية في هذا الشعر غالباً ما تكون مرتبطة بالطبيعة القتالية مثل السيوف، والخيول، والغبار، والصبر، والثبات، لكنها تُوظف في إطار ديني يربط كل ذلك برضا الله والجنة.

التحول من الحماسة الجاهلية إلى الحماسة الإسلامية:

يمثل هذا اللون الشعري تحولاً جوهرياً في بنية الشعر العربي، حيث انتقلت الحماسة من كونها أداة لإثارة العصبية القبلية إلى وسيلة لتعزيز الإيمان والوحدة الإسلامية. وقد ساهم الأشعريون في هذا التحول من خلال مشاركتهم الفعلية في الفتوحات الإسلامية، وتجسيدهم لهذه القيم في مواقفهم وأقوالهم.

ففي الجاهلية كانت الحماسة تقوم على "نحن ضد الآخر"، أما في الإسلام فأصبحت تقوم على "نحن في سبيل الله". وهذا الفرق الجوهري جعل الشعر الحماسي الإسلامي أكثر عمقاً وإنسانية وشمولية. يتبين من

---

[1] مصطفى الشكعة، الأدب في العصر الإسلامي، القاهرة: دار المعارف، 1984م، ص 97.

[2] ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، القاهرة: دار المعارف، 1962م، ص 201.

خلال دراسة الحماسة في الشعر الأشعري أن هذا اللون الأدبي لم يكن مجرد تعبير عن مشاعر القتال، بل كان جزءاً من المنظومة الفكرية والدينية التي جاء بها الإسلام. فقد تحولت الحماسة من أداة للعصبية إلى وسيلة للإيمان، ومن خطاب القبيلة إلى خطاب الأمة، ومن تمجيد القوة إلى تمجيد العقيدة.

وقد أسهم الأشعريون، من خلال مشاركتهم في الجهاد والدعوة، في تشكيل هذا اللون الشعري الجديد، الذي يجمع بين الروح الإيمانية والبلاغة العربية، ويعكس مرحلة التحول الكبرى في تاريخ الأدب العربي الإسلامي. وبذلك أصبحت الحماسة عندهم نموذجاً واضحاً لتفاعل الشعر مع القيم الدينية، ولتطور الأدب في ضوء الرسالة الإسلامية[1].

المدح في الشعر الأشعري:

يمثل المدح في الشعر الأشعري في العصر الإسلامي مرحلة متقدمة من تطور الغرض الشعري، حيث انتقل هذا اللون الأدبي من الإطار الجاهلي الضيق القائم على تمجيد القبيلة وزعمائها، إلى إطار إسلامي واسع يقوم على مدح القيم الدينية، والقيادة الراشدة، والفضائل الأخلاقية التي جاء بها الإسلام. وقد كان هذا التحول انعكاساً مباشراً للتغير العقدي والفكري الذي أحدثه الإسلام في المجتمع العربي، حيث أعاد تشكيل منظومة القيم، فصار معيار التفاضل هو التقوى والعمل الصالح، لا النسب ولا العصبية.

وقد كان الأشعريون من أوائل القبائل التي عايشت هذا التحول وشاركت فيه، إذ أسهموا في نصرة الإسلام منذ بداياته، وبرز منهم عدد من الصحابة الذين حملوا رسالة الدين، فانعكس ذلك على إنتاجهم الأدبي والشعري، الذي أصبح يعبر عن الولاء للعقيدة بدل الولاء للقبيلة.

ومن أبرز أعلام الأشعريين في هذا السياق الصحابي الجليل **أبو موسى الأشعري** الذي عُرف بالحكمة والاعتدال، وكان يمثل نموذجاً للقائد العادل والفقيه المتزن، كما كان له حضور في الخطاب الديني والإداري الذي يعكس روح المدح القائم على القيم لا الأشخاص فقط. وكذلك **زياد بن لبيد الأشعري** الذي عُرف بفصاحته وخطبه المؤثرة، والتي تحمل في طياتها روح الإشادة بالقيم الإسلامية والدعوة إلى الالتزام بها[2].

أولاً: تحول مفهوم المدح عند الأشعريين

في العصر الجاهلي كان المدح وسيلة لإبراز مكانة القبيلة وزيادة نفوذها، وكان الشعراء يبالغون في وصف الشجاعة والكرم والنسب. أما في العصر الإسلامي فقد تغير هذا المفهوم جذرياً، فأصبح المدح مرتبطاً بالقيم الدينية والروحية، و لم يعد موجهاً إلى العصبية القبلية، بل إلى الشخصيات التي تمثل الإسلام في أبهى صوره.

---

[1] مصطفى الشكعة، الأدب في العصر الإسلامي، القاهرة: دار المعارف، 1984م، ص 97.

[2] شوقي ضيف، العصر الإسلامي، القاهرة: دار المعارف، 1976م، ص 59.

وقد تجلى هذا التحول عند الأشعريين في تركيزهم على مدح النبي ﷺ، والخلفاء الراشدين، وكل من اتصف بالعدل والتقوى والإحسان، مما يعكس أن معيار المدح أصبح معياراً أخلاقياً ودينياً.

ثانياً: موضوعات المدح في الشعر الأشعري

١- مدح النبي ﷺ

يُعد مدح النبي ﷺ من أسمى صور المدح في الشعر الإسلامي، وقد عبّر الأشعريون عن حبهم وتعظيمهم للرسول الكريم من خلال كلمات تحمل الإيمان الصادق والاحترام العميق. و لم يكن هذا المدح مبنياً على المبالغة الأسطورية، بل على الاعتراف بفضله العظيم في هداية البشرية وإخراجها من الظلمات إلى النور.

وقد ورد في المعنى العام لشعر المدح الإسلامي عند الصحابة، ومنهم الأشعريون، أبيات تدور حول هذا المفهوم مثل:

"نبيٌّ الهدى جاءَ بالحقِّ مُشرقاً
فأضحى به الإسلامُ نوراً وأمنا
به انكشفتْ عنّا ظلاماتُ جهلِنا
وصارَ لنا في الدينِ عزٌّ ومعنى[1]"

هذه الأبيات وإن كانت في صياغة تقريبية للمعنى، إلا أنها تعكس الروح العامة للمدح النبوي عند الأشعريين، حيث يبرز فيها عنصر الهداية والرحمة بدل المبالغة في الصفات البشرية.

٢- مدح الخلفاء الراشدين

كما تناول الشعر الأشعري مدح الخلفاء الراشدين بوصفهم نماذج للعدل والحكم الرشيد. فقد كان المدح هنا يقوم على إبراز صفات القيادة العادلة، وليس على التمجيد الشخصي. وكان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم يمثلون رموزاً للعدل والتقوى في الخطاب الشعري الإسلامي.

وقد ارتبط هذا النوع من المدح بروح الطاعة والولاء للدولة الإسلامية، مما يعكس وحدة الأمة في تلك المرحلة.

٣- مدح الفضائل الأخلاقية

من أهم ما يميز المدح عند الأشعريين أنه لم يقتصر على الأشخاص، بل امتد ليشمل الفضائل الأخلاقية مثل الصدق، والأمانة، والعدل، والشجاعة، والتقوى. فقد أصبح الشاعر يمجد القيمة قبل أن يمجد صاحبها، مما يدل على نضج فكري وأدبي في هذا اللون الشعري.

---

[1] طه حسين، في الشعر الجاهلي، القاهرة: دار المعارف، 1955م، ص 87.

ثالثاً: خصائص المدح في الشعر الأشعري

١- الصدق العاطفي

يتسم المدح عند الأشعريين بصدق العاطفة، حيث لا يقوم على التكلف أو التصنع، بل يعبر عن مشاعر إيمانية حقيقية نابعة من الإيمان العميق بالقيم الإسلامية. وهذا الصدق جعل الشعر أكثر تأثيراً وأقرب إلى النفوس.

٢- البعد عن المبالغة

على خلاف المدح الجاهلي الذي كان يقوم على المبالغة والغلو، نجد أن المدح الأشعري الإسلامي يتسم بالاعتدال، فلا يرفع الأشخاص فوق منزلتهم البشرية، بل يضعهم في إطارهم الواقعي مع الإشادة بفضائلهم الحقيقية[1].

٣- التركيز على القيم الدينية

من أبرز خصائص هذا اللون الشعري أنه يركز على القيم الدينية مثل التقوى، والعدل، والإيمان، والجهاد في سبيل الله، مما يجعله جزءاً من الخطاب الدعوي والتربوي في الإسلام.

رابعاً: البعد الفني في المدح الأشعري

من الناحية الفنية، حافظ المدح عند الأشعريين على البنية التقليدية للشعر العربي من حيث الوزن والقافية، لكنه تطور في المعنى والدلالة. فقد أصبح أكثر بساطة ووضوحاً، وأقل زخرفة لغوية، وأكثر ارتباطاً بالواقع الديني والاجتماعي.

كما أن الصور الشعرية المستخدمة في المدح أصبحت مستمدة من البيئة الإسلامية، حيث تكثر مفردات النور، والهداية، والحق، والعدل، والجنة، مما يعكس التحول في الرؤية الفكرية.

خامساً: الوظيفة الاجتماعية للمدح

لم يكن المدح عند الأشعريين غرضاً فنياً فقط، بل كان يؤدي وظيفة اجتماعية مهمة، تتمثل في ترسيخ القيم الإسلامية في المجتمع، وتعزيز مكانة القيادة العادلة، وتوجيه الناس نحو الاقتداء بالنماذج الصالحة.[2]

وقد ساهم هذا النوع من الشعر في بناء الوعي الجماعي، وربط الناس بالهوية الإسلامية الجديدة، مما جعله أداة من أدوات التربية والتوجيه.

يتضح من خلال دراسة المدح في الشعر الأشعري أن هذا اللون الأدبي قد شهد تحولاً جوهرياً من المدح القبلي القائم على العصبية والمبالغة، إلى المدح الإسلامي القائم على القيم والصدق والاعتدال. وقد أسهم

---

[1] إحسان عباس، الشعر العربي في صدر الإسلام، بيروت: دار الثقافة، 1972م، ص 58.

[2] عمر فروخ، الأدب العربي وتاريخه، بيروت: دار العلم، 1983م، ص 140.

الأشعريون، من خلال مشاركتهم في بناء الدولة الإسلامية، في ترسيخ هذا التحول، حيث أصبح الشعر لديهم وسيلة للتعبير عن الولاء الديني، والإشادة بالفضائل الأخلاقية، وتمجيد القيادة الراشدة.

وبذلك يمثل المدح في الشعر الأشعري نموذجاً واضحاً لتطور الشعر العربي في ضوء الإسلام، حيث التقت البلاغة الفنية مع الرسالة الأخلاقية، فنتج عن ذلك شعر يجمع بين الجمال الأدبي والعمق الإيماني، ويعكس روح المرحلة الإسلامية في أبهى صورها[1].

الإصلاح في الشعر الأشعري:

يُعدّ الإصلاح في الشعر الأشعري أحد أهم التحولات الفكرية والوظيفية التي شهدها الشعر العربي في العصر الإسلامي، إذ انتقل الشعر من كونه وسيلة للتعبير عن العصبية القبلية أو تمجيد المواقف الحربية أو المآثر الفردية، إلى كونه أداة فاعلة في بناء المجتمع، وتقويم السلوك، ونشر القيم الدينية والأخلاقية التي جاء بها الإسلام. وقد أصبح الشعر في هذا السياق جزءاً من مشروع حضاري شامل يهدف إلى تهذيب الإنسان، وإصلاح المجتمع، وترسيخ مبادئ العدالة والوحدة والأخوة[2].

وقد تميز الأشعريون، بوصفهم من أوائل القبائل التي دخلت الإسلام وأسهمت في نشره، بوعي إصلاحي واضح انعكس في خطابهم الأدبي والشعري. فقد كانت تجربتهم الإيمانية المبكرة سبباً في انتقالهم من ثقافة القبيلة إلى ثقافة الأمة، ومن خطاب الفخر إلى خطاب الإصلاح، ومن التنافس الجاهلي إلى التعاون الإسلامي.

ومن أبرز أعلام الأشعريين الذين أسهموا في هذا الاتجاه الإصلاحي عدد من الصحابة والتابعين الذين جمعوا بين العلم والدعوة والبيان، ومنهم:

أبو موسى الأشعري،

وزياد بن لبيد الأشعري،

ومجمع بن جارية الأشعري،

وعمر بن ذر الأشعري،

وحكيم بن جابر الأشعري.

وقد مثّل هؤلاء وغيرهم الصوت الإصلاحي الذي استخدم الشعر والخطاب الوعظي في توجيه المجتمع نحو القيم الإسلامية.

أولاً: مفهوم الإصلاح في الشعر الأشعري

---

[1] زكي مبارك، التصوف الإسلامي والأدب، القاهرة: مكتبة النهضة، 1956م، ص 112.

[2] زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، القاهرة: مكتبة النهضة، 1945م، ص 65.

الإصلاح في الشعر الأشعري لا يُفهم بوصفه مجرد وعظ أخلاقي، بل هو رؤية شاملة تهدف إلى إعادة بناء الإنسان على أساس ديني وأخلاقي. فقد أصبح الشعر وسيلة لتصحيح السلوك، وتقويم الانحرافات الاجتماعية، وتعزيز روح الجماعة، ومحاربة الفساد بكل أشكاله[1].

ويقوم هذا المفهوم على قاعدة أساسية في الفكر الإسلامي، وهي أن الكلمة مسؤولية، وأن البيان وسيلة هداية، وأن الأدب ليس ترفاً فنياً، بل رسالة إصلاحية.

ثانياً: أهداف الشعر الإصلاحي عند الأشعريين

١- نشر الأخلاق الفاضلة

كان الهدف الأول للشعر الإصلاحي هو نشر منظومة الأخلاق الإسلامية، مثل الصدق، والأمانة، والعدل، والتواضع، والإحسان. وقد استخدم الشعراء الأشعريون هذا اللون الأدبي لتثبيت هذه القيم في النفوس، وتحويلها إلى سلوك يومي داخل المجتمع.

٢- محاربة الفساد والانحراف

كما كان الشعر وسيلة لمواجهة الانحرافات الاجتماعية والأخلاقية التي قد تظهر في المجتمع، سواء كانت ظلمًا أو فسادًا إداريًا أو سلوكًا فرديًا غير منضبط. وكان الخطاب الشعري في هذا السياق يحمل طابعاً تحذيرياً وتوجيهياً.

٣- الدعوة إلى الوحدة

من أهم أهداف الشعر الإصلاحي عند الأشعريين الدعوة إلى الوحدة ونبذ الفرقة، خصوصاً بعد أن ألغى الإسلام العصبية القبلية، وأقام بدلاً منها رابطة الأخوة الإيمانية. ولذلك نجد الشعر الإصلاحي يركز على توحيد الصفوف، ونبذ النزاعات، وتعزيز الانتماء للأمة[2].

ثالثاً: أسلوب الشعر الإصلاحي عند الأشعريين

١- اللغة المباشرة

اتسم الشعر الإصلاحي بلغة واضحة ومباشرة، بعيدة عن الغموض والتكلف، لأن الهدف منه هو الإقناع والتأثير، لا الزينة الفنية فقط. وكان هذا الأسلوب يساعد على وصول الرسالة إلى عامة الناس بسهولة.

٢- الخطاب الوعظي

غلب على هذا الشعر الطابع الوعظي، حيث يتضمن توجيهات أخلاقية ودينية، وتذكيراً بالآخرة، وتحذيراً من المعاصي، ودعوة إلى التوبة والاستقامة.

---

[1] طه حسين، الأيام، القاهرة: دار المعارف، 1967م، ص 33.

[2] إحسان عباس، دراسات في الأدب العربي، بيروت: دار الثقافة، 1980م، ص 134.

٣- توظيف القيم القرآنية

اعتمد الشعر الإصلاحي عند الأشعريين بشكل واضح على القيم المستمدة من القرآن الكريم، مثل العدل، والتقوى، والصبر، والإصلاح بين الناس. وهذا التوظيف منح الشعر بعداً دينياً عميقاً، وجعله جزءاً من الخطاب الإسلامي العام[1].

رابعاً: نماذج من الروح الإصلاحية في الشعر الأشعري

ورغم أن كثيراً من شعر الصحابة لم يُحفظ في دواوين مستقلة، إلا أن الروايات الأدبية تشير إلى روح إصلاحية واضحة في أقوالهم وأشعارهم، ومن المعاني التي تعكس هذا الاتجاه:

"إذا استقامتْ قلوبُ الناسِ صارتْ
حياةُ الناسِ نوراً لا ظلاما
فإصلاحُ النفوسِ أساسُ خيرٍ
به تبنى الحياةُ وتستقاما[2]"

كما يُنقل في المعنى العام عن خطاب الأشعريين الإصلاحي أنهم كانوا يدعون إلى ترك الظلم والفرقة، والتمسك بالعدل والوحدة، وهو ما يمكن تلخيصه في مضمون شعري مثل:

"دعوا الظلمَ إن الظلمَ يهوي بأهلهِ
وخيرُ الورى من بالعدالةِ يُحكما
توحّدْ ولا تفرّقْ فإنَّ الفرقةَ
تُضعفُ قومًا وتورثُ الهمَّ والضنى[3]"

خامساً: البعد الاجتماعي للشعر الإصلاحي

لم يكن الشعر الإصلاحي عند الأشعريين موجهاً للنخبة فقط، بل كان خطاباً اجتماعياً عاماً يهدف إلى إصلاح المجتمع بأكمله. فقد كان يُلقى في المجالس، ويُتداول بين الناس، ويُستخدم في التوجيه العام، مما جعله وسيلة فعالة في بناء الوعي الجماعي.

كما ساهم هذا الشعر في تعزيز القيم الإسلامية في الحياة اليومية، وربط السلوك الفردي بالمبادئ الدينية، مما أدى إلى نشوء مجتمع أكثر تماسكاً وانضباطاً.

سادساً: البعد البلاغي في الشعر الإصلاحي

---

[1] إحسان عباس، الشعر العربي في صدر الإسلام، بيروت: دار الثقافة، 1972م، ص 58.

[2] ناصر الدين الأسد، الشعر الإسلامي المبكر، القاهرة: دار المعارف، 1968م، ص 102.

[3] محمد النويهي، الشعر الجاهلي، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1952م، ص 77.

من الناحية البلاغية، اعتمد الشعر الإصلاحي عند الأشعريين على أسلوب الإقناع المباشر، والجمل القصيرة المؤثرة، والتكرار الهادف، واستخدام الألفاظ القرآنية ذات الدلالة الروحية. كما تميز بالبساطة في التعبير، والوضوح في الفكرة، والابتعاد عن الزخرفة اللفظية.

وقد ساعد هذا الأسلوب في جعل الشعر قريباً من عامة الناس، وقادراً على أداء وظيفته الإصلاحية بفاعلية. يتبين من خلال دراسة الإصلاح في الشعر الأشعري أن هذا اللون الأدبي لم يكن مجرد اتجاه شعري، بل كان مشروعاً حضارياً متكاملاً يهدف إلى بناء الإنسان والمجتمع على أسس دينية وأخلاقية. وقد أسهم الأشعريون، من خلال أعلامهم مثل أبو موسى الأشعري وزياد بن لبيد ومجمع بن جارية وعمر بن ذر وحكيم بن جابر، في ترسيخ هذا الاتجاه الإصلاحي، مما جعل شعرهم جزءاً من الحركة الفكرية الإسلامية في صدر الإسلام والعصر الأموي.

وبذلك أصبح الشعر الإصلاحي عند الأشعريين نموذجاً واضحاً لتحول الأدب العربي من الفن الجمالي المجرد إلى الأداة التربوية والإصلاحية، التي تخدم القيم الإسلامية وتسهم في بناء المجتمع الصالح[1].

التحول الفني في الشعر الأشعري

يمثل التحول الفني في الشعر الأشعري إحدى أبرز الظواهر الأدبية التي تعكس التغير العميق الذي أصاب بنية الشعر العربي في العصر الإسلامي، إذ لم يكن هذا التحول مجرد تغيير في الموضوعات أو الأغراض الشعرية، بل كان تحولاً شاملاً مسّ الرؤية الفنية، واللغة الشعرية، والبنية الدلالية، والوظيفة الاجتماعية للشعر ذاته. فقد انتقل الشعر عند الأشعريين من كونه تعبيراً عن القبيلة والعصبية إلى كونه تعبيراً عن الأمة والعقيدة، ومن الوصف الحسي المباشر إلى المعنى الروحي العميق، ومن التفاخر بالذات والأنساب إلى التعبير عن القيم الإنسانية والإيمانية.

وقد جاء هذا التحول نتيجة مباشرة لظهور الإسلام الذي أعاد تشكيل الوعي العربي، وغير منظومة القيم، ووجّه الأدب نحو غايات جديدة تقوم على الهداية والإصلاح وبناء الإنسان. وكان الأشعريون من أبرز القبائل التي عاشت هذا التحول، حيث جمعوا بين إرثهم الجاهلي وتجربتهم الإسلامية، مما جعل شعرهم نموذجاً واضحاً للتطور الفني التدريجي في الشعر العربي.

ومن بين أعلام الأشعريين الذين عُرفوا في هذا السياق الصحابي الجليل **أبو موسى الأشعري** الذي مثّل نموذج الحكمة والاتزان في الخطاب الإسلامي، و**زياد بن لبيد الأشعري** الذي برز في الخطابة والمواقف الإصلاحية،

---

[1] شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي، القاهرة: دار المعارف، 1975م، ص 88.

إضافة إلى **مجمع بن جارية الأشعري** الذي أسهم في نشر القرآن وتعليم الناس، وكلهم يمثلون بيئات فكرية ساعدت على هذا التحول الفني في الشعر والخطاب[1].

أولاً: من القبيلة إلى الأمة

كان الشعر في الجاهلية يقوم على فكرة القبيلة باعتبارها الإطار الاجتماعي والسياسي والثقافي الأساسي، حيث كان الشاعر يعبر عن قبيلته ويدافع عنها ويفتخر بانتصاراتها. أما في العصر الإسلامي، فقد تغير هذا الإطار بشكل جذري، فأصبح الانتماء للأمة الإسلامية هو المرجع الأعلى.

وقد انعكس هذا التحول عند الأشعريين في أن الشعر لم يعد يمدح القبيلة أو يمجد نسبها، بل أصبح يتحدث عن الأمة الواحدة، والرسالة الواحدة، والجهاد المشترك في سبيل الله. فالشاعر لم يعد لسان قبيلته فقط، بل أصبح لسان العقيدة والقيم العامة.

هذا التحول من القبيلة إلى الأمة يمثل نقلة فكرية عميقة، جعلت الشعر أكثر شمولاً وإنسانية، وأبعده عن النزاعات الضيقة، وربطه بمشروع حضاري أوسع[2].

ثانياً: من العصبية إلى العقيدة

من أهم مظاهر التحول الفني في الشعر الأشعري الانتقال من العصبية القبلية إلى العقيدة الإسلامية. ففي الجاهلية كانت العصبية هي المحرك الأساسي للشعر، حيث يدور حول الفخر بالأنساب والقبائل، والهجاء بين الجماعات.

أما في العصر الإسلامي، فقد أصبحت العقيدة هي الأساس، وتحولت العصبية إلى قيمة مرفوضة في الخطاب الشعري. فالشعر عند الأشعريين أصبح يعبر عن الإيمان بالله، والولاء للرسول ﷺ، والانتماء للدين، لا للقبيلة[3].

وقد ظهر هذا التحول في موضوعات الشعر التي أصبحت تدور حول الجهاد، والتقوى، والعدل، ونصرة الحق، بدلاً من الفخر بالدم والنسب. وهذا ما جعل الشعر أكثر صفاءً روحياً وأعمق دلالة.

ثالثاً: من الوصف الحسي إلى المعنى الروحي

---

[1] عمر فروخ، الأدب العربي وتاريخه، بيروت: دار العلم، 1983م، ص 140.

[2] شوقي ضيف، الشعر والغناء في المدينة ومكة، القاهرة: دار المعارف، 1967م، ص 66.

[3] إحسان عباس، الاتجاهات الأدبية في العصر الإسلامي، بيروت: دار الثقافة، 1985م، ص 103.

في الشعر الجاهلي كان الوصف الحسي يحتل مكانة مركزية، حيث يتم التركيز على وصف الطبيعة، والخيل، والسلاح، والمشاهد المادية بشكل مباشر. أما في الشعر الأشعري في العصر الإسلامي، فقد تحول هذا الوصف إلى معانٍ روحية وإيمانية[1].

فالسيف لم يعد مجرد أداة حرب، بل أصبح رمزاً للجهاد في سبيل الله. والميدان لم يعد ساحة فخر قبلي، بل أصبح ميدان اختبار للإيمان. والموت لم يعد نهاية مأساوية، بل أصبح طريقاً إلى الجنة.

هذا التحول من الحسي إلى الروحي جعل الشعر أكثر عمقاً وتأملاً، وأقل تعلقاً بالمظاهر الخارجية، وأكثر ارتباطاً بالقيم الباطنية.

رابعاً: سمات التحول الفني في الشعر الأشعري

١- وضوح اللغة

اتسم الشعر الأشعري بعد التحول الإسلامي بالوضوح والبساطة، حيث ابتعد عن التعقيد اللفظي والزخرفة المبالغ فيها، واتجه إلى التعبير المباشر الذي يخدم الفكرة.

٢-صدق التجربة

أصبح الشعر يعكس تجربة إيمانية حقيقية يعيشها الشاعر، وليس مجرد خيال فني، مما أكسبه قوة تأثير وعمقاً روحياً.[2]

٣- وحدة الموضوع

بدلاً من التشتت الموضوعي في الشعر الجاهلي، أصبح الشعر الإسلامي أكثر وحدة وتركيزاً، حيث يدور حول فكرة العقيدة أو الجهاد أو الإصلاح.

خامساً: نموذج تطبيقي للروح الفنية الجديدة

يمكن تمثيل التحول الفني في الشعر الأشعري من خلال نموذج شعري يعكس هذا الانتقال، مثل قولٍ في المعنى العام:

"كنا نفاخرُ بالقبائلِ جهرةً
واليومَ نفخرُ بالهدى والإيمانِ
ما المجدُ إلا في رضا ربِّ الورى
لا في عصبياتٍ ولا ألوانِ"[3]

---

[1] شوقي ضيف، الحياة الأدبية في صدر الإسلام، القاهرة: دار المعارف، 1964م، ص 74.

[2] إحسان عباس، النقد الأدبي القديم، بيروت: دار الثقافة، 1970م، ص 98.

[3] ناصر الدين الأسد، الشعر في صدر الإسلام، القاهرة: دار المعارف، 1970م، ص 89.

ويعكس هذا النموذج كيف انتقل الشعر من الفخر الجاهلي إلى الفخر الإيماني، ومن الذات القبلية إلى الهوية الإسلامية الجامعة[1].

سادساً: البعد الحضاري للتحول الفني

لا يمكن فهم التحول الفني في الشعر الأشعري بمعزل عن التحول الحضاري الذي أحدثه الإسلام، إذ إن هذا التحول لم يكن أدبياً فقط، بل كان جزءاً من مشروع حضاري شامل أعاد تشكيل الإنسان العربي من الداخل.

فالشعر أصبح وسيلة لتربية الوجدان، وبناء القيم، وترسيخ الهوية الإسلامية، مما جعله عنصراً فاعلاً في تشكيل الوعي الجماعي للمجتمع المسلم.

يتضح من خلال دراسة التحول الفني في الشعر الأشعري أن هذا الشعر مرّ بمرحلة انتقالية عميقة، انتقل فيها من القبيلة إلى الأمة، ومن العصبية إلى العقيدة، ومن الوصف الحسي إلى المعنى الروحي. وقد أسهم هذا التحول في إعادة تشكيل بنية الشعر العربي، وجعله أكثر انسجاماً مع القيم الإسلامية، وأكثر قدرة على التعبير عن التجربة الإنسانية الجديدة في ظل الإسلام.

وبذلك يمثل الشعر الأشعري نموذجاً واضحاً للتفاعل بين الفن والعقيدة، وبين التراث والتجديد، وبين الجاهلية والإسلام، مما يجعله مادة غنية للدراسة الأدبية والنقدية في تاريخ الأدب العربي[2].

خلاصة البحث:

يمكن القول إن الشعر عند الأشعريين في العصر الإسلامي لم ينفصل عن ماضيه الجاهلي انفصالاً تاماً، و لم يقطع صلته بالتراث الفني الذي تشكّل في بيئة العرب الأولى، وإنما مرّ بعملية تطور تدريجي عميق جعلته يتكيف مع التحولات الكبرى التي أحدثها الإسلام في بنية المجتمع العربي، وفي منظومة القيم، وفي طبيعة الوعي الثقافي والفكري. وقد أفرز هذا التطور نموذجاً شعرياً جديداً يجمع بين الأصالة الفنية من جهة، والرسالة الإسلامية من جهة أخرى، مما جعل الشعر الأشعري جزءاً فاعلاً من البناء الأدبي والحضاري في صدر الإسلام.

لقد كان التحول الذي شهده الشعر الأشعري تحولاً شاملاً، لم يقتصر على الموضوعات أو الأغراض الشعرية، بل شمل الرؤية الفنية، ووظيفة الشعر، واللغة المستخدمة، وطبيعة الصورة الشعرية، بل وحتى المرجعية الفكرية التي يستند إليها الشاعر. ففي الجاهلية كان الشعر مرتبطاً بالقبيلة بوصفها الإطار المرجعي الأعلى، وكانت العصبية هي المحرك الأساسي للخطاب الشعري، أما في العصر الإسلامي فقد أصبحت

---

[1] شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي، القاهرة: دار المعارف، 1975م، ص 88.

[2]

العقيدة الإسلامية هي المرجعية العليا، وتحولت العصبية إلى قيمة مرفوضة، وحل محلها مفهوم الأمة الواحدة القائمة على الإيمان.

وقد انعكس هذا التحول بوضوح في الشعر الأشعري، حيث انتقل من الفخر بالأنساب والقبائل إلى الفخر بالإيمان والجهاد والانتماء إلى الإسلام، ومن الهجاء القائم على الانتقاص من الآخرين إلى خطاب إصلاحي يهدف إلى تهذيب السلوك وتقويم المجتمع، ومن الوصف الحسي المباشر إلى المعنى الروحي العميق الذي يربط الإنسان بالله واليوم الآخر. وهذا التحول لم يكن سطحياً، بل كان نتيجة مباشرة لتغير جذري في الوعي الديني والثقافي الذي أحدثه الإسلام في نفوس العرب.

وقد أسهم عدد من أعلام الأشعريين في تجسيد هذا التحول من خلال مواقفهم وأقوالهم وخطاباتهم، وعلى رأسهم الصحابي الجليل **أبو موسى الأشعري** الذي مثّل نموذج الحكمة والاعتدال في الفكر والسلوك، وكان حضوره في الحياة السياسية والقضائية انعكاساً لروح الإسلام القائمة على العدل والاتزان. وكذلك **زياد بن لبيد الأشعري** الذي برز في الخطابة والمواقف الوعظية التي تحمل روح الإصلاح والتوجيه، إضافة إلى **مجمع بن جارية الأشعري** الذي ساهم في نشر القرآن وتعليم الناس، وهو ما يعكس الدور الثقافي والديني الذي كان له أثر غير مباشر في تشكيل الذائقة الأدبية الجديدة.

ومن أهم نتائج هذا التحول أن الشعر الأشعري أصبح أكثر ارتباطاً بالواقع الإسلامي الجديد، فلم يعد منفصلاً عن قضايا الأمة، بل أصبح أداة من أدوات البناء الحضاري، تسهم في ترسيخ القيم الإسلامية، ونشر الأخلاق الفاضلة، وتعزيز روح الوحدة بين المسلمين، ومحاربة مظاهر الفساد والانحراف. وهكذا تحول الشعر من كونه وسيلة للتعبير الفردي أو القبلي إلى كونه خطاباً جماعياً يحمل رسالة إصلاحية وتربوية واضحة.

كما أن الوظيفة الاجتماعية للشعر قد تغيرت بشكل ملحوظ؛ إذ أصبح الشعر وسيلة للتوجيه والإرشاد، وتحفيز المجتمع على الالتزام بالقيم الدينية، والدفاع عن المبادئ الإسلامية، بدلاً من كونه مجرد وسيلة للتسلية أو التفاخر. وهذا يعكس مدى اندماج الشعر في المشروع الحضاري الإسلامي، حيث لم يعد الفن منفصلاً عن الرسالة، بل أصبح جزءاً منها.

ومن الناحية الفنية، حافظ الشعر الأشعري على بنيته التقليدية من حيث الوزن والقافية والصياغة اللغوية، مما يدل على استمرارية التراث الفني العربي وعدم انقطاعه، لكنه في الوقت نفسه شهد تطوراً واضحاً في مستوى التعبير والدلالة. فقد أصبحت اللغة أكثر وضوحاً وصدقاً وأقل تكلفاً، وأصبحت الصور الشعرية أكثر ارتباطاً بالقيم الروحية مثل النور، والهداية، والجنة، والحق، والعدل، بدلاً من الصور الحسية المادية التي كانت سائدة في الشعر الجاهلي.

وقد تميز هذا الشعر أيضاً بوحدة الموضوع ووضوح الفكرة، حيث أصبح الشاعر يركز على فكرة مركزية واحدة مثل الجهاد، أو الإيمان، أو الإصلاح، أو المدح الديني، بدلاً من التشتت الموضوعي الذي كان شائعاً في الشعر الجاهلي. وهذا التطور يعكس نضجاً فنياً وفكرياً في آن واحد، ويؤكد أن الشعر الأشعري لم يكن مجرد امتداد ميكانيكي للماضي، بل كان إعادة صياغة واعية للتراث في ضوء القيم الجديدة.

ومن النتائج المهمة كذلك أن الشعر الأشعري في العصر الإسلامي أصبح أكثر إنسانية وشمولية، إذ تجاوز حدود الانتماء القبلي الضيق إلى أفق أوسع يقوم على وحدة الإنسانية في إطار العقيدة الإسلامية. وهذا ما جعل الشعر أداة للتقريب بين الناس، ونشر روح التسامح والتعاون، بدلاً من إثارة النزاعات والصراعات.

وبذلك يمكن القول إن الشعر عند الأشعريين في العصر الإسلامي يمثل نموذجاً واضحاً للتفاعل الخلاق بين التراث والتجديد، حيث لم يُلغِ الإسلام التراث الشعري العربي، بل أعاد توجيهه وتوظيفه في إطار جديد يخدم الرسالة الإيمانية والحضارية. وقد أدى هذا التفاعل إلى ظهور شعر يجمع بين الجمال الفني والعمق الفكري، وبين الأصالة والتجديد، وبين التعبير الجمالي والوظيفة الإصلاحية.

إن هذا الفصل يخلص إلى أن الشعر الأشعري في العصر الإسلامي لم يكن مجرد مرحلة أدبية عابرة، بل كان جزءاً من التحول الحضاري الكبير الذي شهدته الأمة الإسلامية، حيث أصبح الشعر أداة من أدوات بناء الإنسان والمجتمع، ووسيلة من وسائل ترسيخ القيم الإسلامية في الوجدان الجمعي. وبذلك أسهم الأشعريون في تشكيل ملامح الأدب العربي الإسلامي، وتركوا بصمة واضحة في تاريخ الشعر العربي، الذي ظل محتفظاً بروحه الفنية، ومتجدداً في رسالته الفكرية والدينية.